

مرة . وكانت المجنزرة الاسرائيلية توزع بقايا دمه على طول الزقاق . يا مصطفى يا عشق الطلاب والطالبات . أمك تزغرد وترشق جنود اسرائيل بالحجارة . قالت جارتها العجوز : ليت رحمي ينضج من جديد . ونكتفي بالاشارة يا جبل النار .

- ٢ -

كانت الشرارة باقتحام مدرسة « فدري طوقان » بنابلس . في خاصرة المدينة يطلع السهم الشرقي فيضا مشتعلا حيث تصحو المدرسة كل صباح ، تماها قرب السجن المركزي ، وقرب مبنى الحاكم العسكري ، وعلى بعد خطوة جهراء من مخيم « بلاطة » . عشرات الجنود المدججين بالسلاح يقتحمون المدرسة . الطلاب اعلام فلسطينية خفاقة : يا صهيوني ارحل عنا . ثورتنا ثورة مستمرة . فدائيون فدائيون . فيندفع السلاح الحاقد الى الاجساد الفتية والكتب والاقلام . يصدح الدم الفلسطيني امام العالم كله . وينتشر الزعتر في موائد كل الفقراء . وما نحن نوفي العهد . ليس للسر غطاء . اكشفوا جسد الطفل : « تشهد مدن الضفة وقراها تظاهرات يقوم بها الشبان والشابات تدعو الى انهاء الاحتلال الاسرائيلي . وفي قرية ابو ديس قرب القدس تجري اهم التظاهرات بتشجيع طفل عربي يبلغ العاشرة من العمر قتل برصاص جندي اسرائيلي » تندفق في شرايينك . انطقي ايها الحجارة ، فالاصابع الاطفال اللثغات تعلمنا ان نوقد العناقيد ، يا صدر امي .

- اطلق النار !

فينكاثر البرقوق الاحمر ، ونفهم معنى الاشياء الصعبة . ويقول الرجل : عانق وجعي يا عصفور . اناذا اتمدد في كل فلسطين .

- ٣ -

احجار فلسطين لها نبض حقيقي . بأمكناتي ان احدثكم عن ذلك بهدوء وحب . وقد تعلمت ، في اللحظة التي اخرج فيها من دائرة « الجسر » ان اتحسس اول حجر اصادفه ، ثم المس وجهي ، فأكتشف نفسي من جديد هذه ليست صلاة ، لان « النهر » العجوز الشاحب يشق رأسي نصفين . كنت قد نهضت في الصباح وفي نيتي اننا اعانقكم واحدا واحدا . انني الح على مسؤولية فرحي معكم . ولكن « عمان » تتراكم فوق الجرح فنادق فنادق . ولا يمكنك ان تعرفها من خلال الرماد . لم افاجأ بلقائها . هذه الجبال تعني لنا الكثير . قبل ان يذوب الندى وقفت على رصيف الشارع الرئيسي . ليست الاسماء مهمة ، الآن ، فسائقو السيارات العالمة يميزون الفلسطينيين . جدي وجدتي ، وعلى طول الطريق الى جسر « دامية » ظلا يحلمان بأشجار فلسطين .

- يا امرأة ! فلسطين على بعد حكاية صغيرة من هنا .

- فارس استشهد في بيروت . وعدنان اعتقل بنابلس ،

وفي الخليل والقدس ورام الله والبيرة والناصرة يرفعون اعلام فلسطين .

- لا تدخن يا ابا فارس ، اريدك قويا تحرث الارض وتعصر الزيتون . ضحك جدي ، وشعرت بقوة ملء اعماقي . امرغتنا السيارات امام نقطة تفتيش اردنية .